

قيمة اللعب في تشخيص أمراض الاطفال النفسية

بمعلم
عطية محمود هنا

مدرس علم النفس — معهد التربية للمعلمين

« إن طبيعة عقل الطفل البدائية تجعل من الضروري البحث عن طريقة من طرق التحليل تنفق وهذه الطبيعة . وهذه الطريقة نجدها في التحليل النفسي القائم على اللعب ، فمن طريق هذا التحليل النفسي نصل إلى أعمق خيرات الطفل المكبوتة ، وإلى أعقد حالات التثبيت ، وبهذا نستطيع أن نؤثر تأثيراً جوهرياً على نمو الطفل . والاختلاف بين طريقة التحليل القائم على اللعب وطريقة التحليل النفسي للكبار اختلاف في الأسلوب وليس في الأسس التي يقوم عليها كل منهما .

ميلاني كابلن

في كتابها « التحليل النفسي للاطفال »

مقدمة — نبذة تاريخية — مميزات استخدام اللعب في الكشف عن نفسية الطفل — اللعب السوي واللعب المرضي — أنواع اللعب المرضي — الخلاصة — المراجع .

مقدمة

اللعب حياة الطفولة ، إذ أنه وسيلة الطفل الطبيعية في تفهم مشاكل الحياة التي تحيط به ، والتي تفرض نفسها عليه في كل لحظة وآونة ، فمن طريقه يكتشف الطفل البيئة التي يعيش فيها ، ويوسع من معلوماته عنها ، ويزيد من مهارته ، ويعبر عن أفكاره ووجداناته . ووظيفة اللعب لا تقتصر على مجرد تفهم الحياة والتعبير عما يدور في أعماق نفسه ، بل إنه عامل هام من عوامل التكيف الضروري بين الطفل والبيئة

التي يعيش فيها سواء كانت هذه البيئة مادية أم اجتماعية وسواء كان التكيف جسمياً أم نفسياً أم اجتماعياً .

ومن هذه المحاور الثلاثة التي تدور حولها وظيفة اللعب أى الفهم والتعبير والتكيف تظهر لنا أهمية اللعب سواء في ميدان التربية أم في مجال العلاج النفسي أم في دائرة الخدمة الاجتماعية للأطفال .

وفيما يتعلق بالناحية التي قصرنا موضوعنا عليها . نجد أن اللعب من حيث هو تعبير عما في النفس يساعدنا أجل المساعدة في تشخيص الأمراض النفسية في حين تقصر بنا الطرق الأخرى عن الوصول إلى هذا الغرض . كما أننا نجد أنه هو الوسيلة التي يعتمد عليها العلاج أياً كان موضوعه وطبيعته .

فهو باعتبار أنه عامل التكيف بين الطفل والبيئة المحيطة به يقدم لنا العامل الأهم في العلاج النفسي ، وهذا العامل يتلخص في أنه يساعد الطفل على تكوين فلسفة خاصة به في الحياة وهو الهدف الذي ترمى إليه التربية والتي تحاول أن تجعله متفقاً مع أهداف المجتمع ومبادئه .

نبذة تاريخية

ويرجع الفضل في اكتشاف ما للعب من قيمة في تشخيص حالات الانحراف النفسي والأمراض العقلية إلى مؤسس التحليل النفسي سيجمند فرويد^(١) Sigmund Freud الذي قام بتحليل طفل صغير « هانس » تحليلاً نفسياً . وقيامه بهذا التحليل كان نواة التحليل النفسي القائم على اللعب . وكان سبباً في وجوب اتباع أسلوب خاص في عملية تحليل الأطفال غير الأسلوب المتبع في تحليل الكبار . ومن الحالات التي عالجها فرويد والتي دلت على ما للعب من قيمة تشخيصية ؛ الحالة التي ذكرها في كتابه « ما وراء مبدأ اللذة »^(٢) وهي حالة طفل لاحظ عليه أنه كان يلعب باستمرار بلعبة مربوطة بحيط . كان يقذف بها ثم يعود فيجذبها بواسطة الحيط . وكان عند ما يقذف بها يصبح صيحة تدل على ارتعاجه ، في حين أنه كان يصبح صيحة الفرح والانتصار عند ما يجذبها - ومن الواضح أن عملية قذف الأشياء ما كانت لتثير الملاحظة إذا صدرت عن طفل يقل عمره عن اثني عشر شهراً ولكن هذا الطفل كان قد تجاوز السنة والنصف

Freud, Sigmund. Analysis of a Phobia in a Five-year-old Boy, 1909. (١)

Freud, Sigmund. Beyond the Pleasure Principle, P. 13. (٢)

عمرًا وكانت انفعالاته في أثناء لعبته واضحة غير مألوفة - وكان من المعروف عنه أن والدته كانت تتركه لفترات طويلة ومن هنا كان من الضروري أن تبحث عن المعنى الرمزي الذي تتضمنه هذه العملية ، والانفعالات المصاحبة لها . وقد فسّر فرويد هذه العملية على أساس أنها تمثيل لغياب الأم ثم عودتها المصحوبة بالسرور ، وبذلك كان الطفل يخفف عن طريق لعبته من الصراع الداخلى (الحب والخوف) بأن يظهره في حياته الشعورية وبالتالي كان لعبه تخفيفاً مؤقتاً لحالة القلق التي تسيطر عليه .

وقد لاحظ كارل يونج مؤسس مدرسة علم النفس التحليلي ما في لعب طفلة في الرابعة من عمرها من معانٍ تحليلية^(١) .

ومنذ هذا الحين أخذ علماء النفس العلاجي بالاهتمام باللعب من حيث هو وسيلة تساعد على تفهم حالة الأطفال المرضى بأمراض نفسية وكذلك من حيث هو طريقة من طرائق العلاج النفسى .

وكان ممن اهتم بهذه الناحية ميلاني كلين^(٢) التي اهتمت بالتحليل النفسى للأطفال ووضعت في ذلك كتابها المشهور « التحليل النفسى للأطفال » ، وكانت المواد التي تستخدمها في عيادتها عبارة عن منصة منخفضة توجد عليها عدة لعب خشبية تمثل رجالا ، ونساء ، وأطفالا ، وحيوانات ، وسيارات ، وعربات ، ومبازل ، وأوراقا ، ومقصات الخ .

ولسنا بصدد تعداد المهتمين بالتحليل النفسى للأطفال عن طريق اللعب أو علاجهم عن هذا الطريق ، ولكن يكفي أن نذكر منهم أنا فرويد Anna Freud ، وسوزان أيزاكس Susan Isaacs التي فقدتها علم النفس حديثاً ومارجريت لوفنفلد Margaret Lowenfeld

ومنذ خمسة وعشرين عاماً أخذت عيادات الأطفال النفسية تهتم باللعب وظهر الإحصائيون في تشخيص الأمراض النفسية للأطفال وعلاجها عن طريق اللعب ، وأنشئت مراكز اللعب ، وأصبح العلاج عن طريق اللعب يقوم على أساس فردى أو جمعى^(٣) وأصبحت العيادات السيكولوجية مجهزة باللعب والأدوات التي يستخدمها الأطفال في ألعابهم .

Yung. Collected Papers in Analytical Psychology.

(١)

Melanie Kleine; Psychoanalysis for children [London 1937].

(٢)

Lewis and Pacella; Modern Trends in Child Psychiatry [New York, 1945.]

(٣)

مميزات استخدام اللعب في الكشف عن نفسية الطفل

وينبغي علينا قبل أن نبحث في اللعب من ناحية قيمته التشخيصية في الأمراض النفسية أن نعرض للأسباب التي من أجلها فضل العلماء أن يستخدموا اللعب في تشخيص الأمراض النفسية عند الأطفال .

من المعروف أن علاج الكبار من الأمراض النفسية يتم عادة عن طريق التحليل الذي يستخدم الأحلام والترايط الحر والذكريات القديمة المنسية . ولكن من الواضح أن هذه الطريقة ليست ملائمة في علاج الأطفال الذين لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم وعن انفعالاتهم وأفكارهم عن طريق اللغة كما هو الحال لدى الكبار^(١) ومن ثم وجد أن من الضروري أن تلجأ إلى اللعب نستشف من خلاله مشكلات الأطفال وانفعالاتهم وتخيلاتهم وأوهامهم باعتبار أنه أوضح أساليب التعبير لدى الأطفال وأقربها إلى طبيعتهم وأسهلها بالنسبة لهم .

وهنا يجب أن نذكر أن ملاحظة الأطفال في ألعابهم يجب ألا تقتصر على نموذج اللعب play pattern بل يجب أن تشمل الانفعالات التي تظهر عليهم في أثناء اللعب والعبارات التي تصدر عنهم والإشارات التي يقومون بها والمواد التي يستخدمونها هذا إلى أن دلالة كل من هذه تغيير باختلاف أعمار الأطفال وبيئاتهم الاجتماعية والمستوى الثقافي لأسرهم .

وتمه سبب آخر يدعو إلى تفضيل اللعب على غيره من الوسائل في الكشف عن الصراع النفسي لدى الأطفال ، ذلك أن اللعب نشاط حر غير مقيد ، فالطفل فيه لا يتخذ عادة موقفاً معيناً تمليه عليه التقاليد أو العرف أو الآداب ومن هنا كان من الواجب على المعالج ألا يتدخل في لعب الطفل أو يوجهه أو يلفت نظره إلى بعض ما يقوم به أو يشعره بأنه يراقبه لأن هذا كله يفقد اللعب ما له من حرية وبالتالي يفقده قيمته التشخيصية .

وتشير لويز ديسبرت في مقالها عن التحليل عن طريق اللعب في البحث والعلاج^(٢) إلى الطفل الذي جاء ذكر الأب في أحد التمثيليات التي كان يقوم بها ، فأخطأ

(١) على أن هذا لا يتنافى مع إمكان إجراء التحليل النفسي عن طريق اللغة على بعض الأطفال في سن الخامسة دون الاستعانة باللعب .

J. Louise Despert; Play Analysis in Research and Therapy, in Modern Trends in (٢) Child Psychiatry, edited by Lewis and Paeella p. 222.

وقال « أنى » وعندئذ قالت له الملاحظة « أبوك ؟ » فكان هذا تنبيهاً منها إلى عملية التقمص وبالتالي تداخلاً فى نشاط الطفل الحر . هذا السؤال له قيمته إذا جاء فى مرحلة متأخرة أى إذا جاء فى وقت يكون الطفل فيه مستعداً لقبول هذا التفسير لعملية التقمص التى قام بها .

على أن هذا لا يمنعنا من القول بأن اللعب وحده لا يكفى فى تشخيص الأمراض النفسية عند الأطفال وإنما يجب أن يصحب هذا دراسة تتبعية لحياة الطفل فى أسرته وفى مدرسته وعلاقاته مع والديه وإخوته وأقاربه وزملائه إلخ ، وكذلك يجب إجراء الاختبارات النفسية المختلفة على الطفل وكذلك الفحص الطبى والعقلى وبذلك نستطيع أن نعرض صورة واضحة للطفل ويصبح لنا الحق بناء على هذا كله فى تفسير سلوكه ومعرفة أسباب انحرافه .

اللعب السوى واللعب المرضى

فى أثناء دراسة اللعب توصل المهتمون بدراسة الأطفال وتربيتهم وعلاج أمراضهم النفسية إلى أن لكل مرحلة من مراحل الطفولة ألعابها المتميزة ، وأن الطفل فى أثناء نموه يظهر ميلاً إلى أنواع معينة من اللعب ، ويمارسها بطريقة معينة وهذا ما دعاه علماء نفس الطفل إلى القول بمراحل مختلفة ، كل مرحلة منها تقابل مرحلة من مراحل نمو الطفل ، وهذه المراحل يمر بها الطفل السوى فى أحيائها الطبيعية على شريطة أن تكون الوسائل والفرص التى ترضى حاجته مهياً له ، فإذا لم تكن هذه الوسائل والفرص مهياً له فإن الطفل قد « ينكص » إلى مرحلة سابقة عن المرحلة التى تتناسب وسنه ، وهذا ما لاحظته مس بويس^(١) على أطفال مدرسة رالى أما فى حالة الأطفال المصابين بالقلق المرضى فإن اللعب النكوصى يصبح له معنى خاصاً به فى كل حالة على حدة ويصبح عرضاً لحالة مرضية معينة كأن يكون دلالة على نزعة عدوانية أو إلخ . وقد اختلف علماء النفس فى تقسيمهم لأنواع اللعب وكان اختلافهم راجعاً فى الغالب إلى الأسس التى بنوا عليها هذا التقسيم فالبعض بنى تقسيمه على أساس الدوافع المسيطرة على الطفل فى كل مرحلة من مراحل نموه^(٢) والبعض الآخر بنى تقسيمه على أساس أوجه النشاط المختلفة التى تسود نشاط الطفل فى كل

Miss Boyce; Play in the Infant School. London 1938.

(١)

(٢) هذا هو الأساس الذى قسمت رينى Reaney اللعب على أساسه فى كتابها المشهور

Place of Play in Education, London, 1947.

مرحلة من مراحل نموه^(١)

على أن هذا ليس معناه أن أنواع اللعب المختلفة يعقب بعضها بعضاً، بل إن من المشاهد أن أنواع اللعب المختلفة تتداخل فيما بينها إلى حد ما وهذا ما يتطلب خبرة عميقة من المعالج حينما يدخل اللعب ضمن وسائله في تشخيص أمراض الأطفال النفسية.

ومن الممكن أن يلاحظ المعالج سلوك الطفل في ألعابه المختلفة إلى درجة تمكنه من أن يقول عن الطفل: « إنه يلعب كطفل أصغر منه ... أو إنه يلعب كطفل أكبر منه ».

وينبغي أن نلاحظ أن الطفل القلق في لعبه هو الطفل الذي لم ينشأ التنشئة السليمة، والذي لم ترض حاجاته الملحة في الوقت المناسب وبذلك لم ينم النمو السوي، وكان لذلك أثره الواضح في لعبه: وتقول في ذلك مارجريت لوفنفلد، « إن من خصائص الأطفال العصبيين أنهم قد يقتسبون أي شكل من أشكال اللعب في أي سن، ومثل هذا التناقض يعتبر من خصائص المزاج العصبي طوال الحياة^(٢) ».

والواقع أن اللعب المرضى يمكن أن ندخله بجميع أنواعه تحت نوع واحد شامل هو اللعب التكويني، ذلك أننا في جميع الحالات المرضية نجد أن الطفل المصاب بمرض نفسي يلعب ألعاباً خاصة بالأطفال الأصغر سناً منه. ويختار لذلك الوسائل التي لا يستخدمها من هم في سنه من الأطفال العاديين، ذلك لأن الطفل لم يشبع حاجاته النفسية أثناء مراحل نموه الجسماني، وبذلك يظل واقعاً تحت إلحاح لاشعوري يجعله يرغب في أن يلعب ألعاب من هم أصغر منه سناً، وهذا ما يتفق مع مبادئ نظرية التحليل النفسي في أن كل انحراف نفسي أو مرض عقلي إنما هو تثبيت لمرحلة من مراحل النمو.

ومادام اللعب يعبر عن شخصية الطفل وعمّا تعانبه هذه الشخصية من انحراف ينشأ عن كبت وصراع فمن الضروري أن نبين اختلاف لعب الأطفال المنحرفين عن لعب الأطفال العاديين؛ فالطفل المنحرف يقترب من أدوات اللعب بطريقة

(١) هذا هو الأساس الذي بنى عليه تقسيم كل من مارجريت لوفنفلد Margaret Lowenfeld في كتابها Play in childhood London, 1936 وليديا جاكسون Lydia Jackson وكاتلين تود Kathleen Todd في كتابها Child Treatment and the Therapy of Play. London 1946.

(٢) Margaret Lowenfeld; op-cit. p. 233.

تخالف طريقة الطفل السوى ، فبعض الأطفال المنحرفين يهجمون على اللعب بصورة تدعو إلى الدهشة والاستغراب ، وقد يحطمون اللعب بقسوة وعننف ظاهرين ، والبعض الآخر يخافون الاقتراب من اللعب وحتى إذا تركوا وشأنهم فإنهم لا يقربون من اللعب ، رغم ما هو معروف عن الأطفال من ميل إلى اللعب . وقد ترجع أسباب هذا الابتعاد إلى عدم ألفة الطفل باللعب واللعب نتيجة حرمان شديد ، أو إلى ذكريات مؤلمة عنيفة ، أو إلى نزعات عدوانية لا شعورية تجعله يجحم عن اللعب خشية مايقوم به من تدمير يؤدي إلى سوء العاقبة .

ويختلف الطفل السوى عن الطفل المنحرف في اللعب ، فلعب الأول يمتاز بالطلاقة والحرية والحيوية ، أما لعب الثاني فقد يتميز بالرزانة والوقار والتزمت مما لا يتفق مع سنه ، وقد يتميز لعبه بالنشاط الزائد عن المألوف أو التكرار المستمر أو عدم الاستقرار .

أنواع اللعب المرضى

إن أنواع اللعب المرضى التي سوف نذكرها لا تعنى أن هناك تصنيفاً منطقياً جامعاً مانعاً للعب ، فاللعب المرضى عرض يصدق عليه كل ما يصدق على أعراض الأمراض النفسية .

فالمرض النفسى يتخذ صوراً وأعراضاً مختلفة ، كما أن العرض الواحد قد يكون نتيجة لأعراض مختلفة ولذلك كان من الواجب ألا يقوم تشخيص الانحراف على أساس اللعب وحده بل يجب الرجوع إلى تاريخ الحالة ، ودراسة البيئة المادية والاجتماعية التي يعيش فيها الطفل ودراسة قدراته وانفعالاته وميوله ومزاجه .

١ - العجز عن اللعب :

ويجدر بنا قبل أن نذكر أنواع اللعب المرضى المختلفة أن نذكر الناحية السلبية منه وهي ناحية العجز عن اللعب ، فنحن نقابل أطفالاً لا يستطيعون اللعب وهنا يجدر بنا أن نتساءل عن الأسباب التي تؤدي إلى هذا العجز^(١) . إن العجز عن

(١) ينبغي أن نذكر هنا أن عجز الطفل عن اللعب ليس من الضروري أن يكون عرضاً من أعراض الانحراف النفسى ، فقد لاحظت من بويس أن عدد كبيراً من أطفال مدرستها كانوا لا يستطيعون اللعب ، وأن السبب في هذا يرجع إلى فرغم المدقع وإلى أنهم كانوا محرومين من اللعب ، على أن نفس العوامل التي تؤدي إلى الفقر المادى قد تكون السبب في الحرمان العاطفى ، الأمر الذي يؤدي إلى الإصابة بالأمراض النفسية انظر Boyce, Play in the Infant School p. 31-32.

اللعب يرجع في الغالب إلى انعدام الأمن المادى أو العاطفى ، ذلك أن اللعب نشاط سار لذيد ولكنه في الوقت نفسه وسيلة من وسائل إشباع الحاجات الخاصة بالطفل ، فإذا تصادف وكانت الحياة التي يحياها بحيث تجعله غير آمن على نفسه فإننا نشاهد الطفل وقد أخذ ينزل عن البيئة المحيطة به ويركز جهوده في خبراته الداخلية ، فيبدأ حياة تملؤها الأوهام وأحلام اليقظة وتأخذ الصلة بينه وبين العالم الخارجى في التضاؤل يوماً بعد يوم حتى يصبح مجرد التفكير في أن يتعادل مع البيئة ولو في أثناء اللعب مما يثير في نفسه الخوف والهول^(١)

ومن الأمثلة الدالة على ما يسببه فقد الأمن من أثر على الطفل يمنعه من اللعب ، مثال الطفل الذى روت قصته دالار برينتون^(٢) فهذا الطفل كان في السادسة من عمره منعزلاً تمام الانعزال عن غيره ، يعيش في أوهامه ، لا يتحدث ، ويجيب عن الأسئلة التي توجه إليه في تردد ، ولا يقوم بأى نشاط بل يراقب الغير فقط ، وقد تبين من البحث أنه فقد أبويه في إحدى الغارات الجوية على انجلترا في أثناء الحرب الأخيرة ، وبذلك فقد كل أمن ، ومن حسن حظه أن عهد برعايته إلى سيدة فهمت ما حدث له ، فأغرمت به ولم تحاول أن تفرض نفسها عليه فتركته يسير على هواه ، وبعد مدة بلغت عاماً تقريباً ابتداءً يستجيب للعالم الخارجى فكان هذا دلالة على أنه ابتداءً يستعيد الأمن الذى فقده بموت والديه ، وعند ما بدأ في اللعب كان خجولاً يترك اللعب إذا لاحظ أن شخصاً غريباً يراقبه . ولكنه كان يلعب في حضور مضيفته وعند ما يكون طفلها خارج المنزل . وبعد ذلك أخذ في تمثيل الحادثة التي حدثت لوالديه وأخذ يسأل بعض الأسئلة عن الموت . ثم أخذ بعد ذلك في تكرار ما حدث حتى واجه أخيراً حقيقة موتهما ولا شك في أنه لم يبدأ في اللعب إلا حينما بدأ يطمئن إلى السيدة القائمة على رعايته .

ومع هذا ينبغي أن نذكر أن لعب هذا الطفل لم يكن اللعب الحر السار الذى يلعبه الطفل العادى ، ولكنه كان يتضمن كثيراً من القلق والخوف .

وقد يرجع السبب في عدم لعب الأطفال إلى نزعات عدوانية عنيفة تجعلهم لا يستطيعون اللعب بالطريقة المألوفة . ولكنهم في الوقت نفسه يخشون أن تسيطر عليهم هذه النزعات العدوانية فيسيئون بذلك إلى من يحبونهم فيلجأون إلى الامتناع

(١) جاء في القواميس الهول هو الخوف من شيء لا يدري الإنسان ما بهجم عليه منه .

(٢) Clare Britton; The Children who cannot play, in "Play and Mental Health (N.E.F. (٢) Monograph No. 3.)

عن اللعب ، وفي الوقت نفسه يلجأون إلى عالم خيالي يحاولون فيه إشباع حاجاتهم ، أي أنهم يشبعون حاجاتهم عن طريق الفكر دون العمل . وغالباً ما نكتشف أن هذا العالم الذي يعيشون فيه عالم تملؤه الشياطين الذين يريدون أن يقضوا على الطفل القضاء المبرم ، والملائكة الذين يشاركونهم كل شيء حتى طعامهم .
ومن الطبيعي أن تمر على الأطفال العاديين أوقات ينزلون فيها عن العالم الواقعي ويقيمون لأنفسهم عالماً خاصاً تشبع فيه رغباتهم ، ولكن الطفل المنحرف هو الذي يعزل نفسه عن العالم الواقعي عزلاً تاماً ويقطع صلته به مدة طويلة .

٢ - اللعب العدواني :

وقد يتميز لعب الأطفال المنحرفين بالعدوان والتدمير وفي هذا اللعب يعبر الطفل عن العداوة المستقرة في أعماق نفسه تعبيراً سافراً . ومهما اختلفت نظريتنا الأساسية في تفسير العدوان وقيمه السيكولوجية ومعناه الرمزي ، إلا أننا نجد أن العدوان نزعة طبيعية في نفوس الأطفال ، وهذا العدوان ينتج عادة نحو الأشياء أو الأشخاص وأحياناً نحو الذات . غير أنه لا يصح أن يعتبر كل لعب عدواني دلالة على انحراف الطفل وشذوذه . فكثيراً ما نلاحظ العدوان في ألعاب الأطفال العاديين وخاصة في ألعاب الأطفال الذين أتيحت لهم فرصة اللعب الحر لأول مرة .

وهنا يجدر بنا أن نقرن بين عدوان الطفل المنحرف وعدوان الطفل السوي كما يظهر في اللعب . فالطفل السوي قد يكسر لعبه ، ويعيث في الأرض فساداً ، ويبني القصور ليهدمها وهو عند ما يفعل ذلك إنما يعمل على إشباع دوافعه . ولكننا نلاحظ أن هذا العمل لا يسبب له سروراً شديداً ، ولا يصطحب بانفعالات قوية ، ثم إنه لا يستمر في العدوان مدة طويلة بل سرعان ما يتحول إلى الناحية الإنشائية البنائية في اللعب . أما الطفل المنحرف فإنه يندفع إلى العدوان والتحطيم اندفاعاً لا يستطيع مقاومته ، وتظهر عليه آثار الانفعالات القوية التي تسيطر عليه ، وتبدو عليه آثار التعب السريع أو الإتهاك العنيف نتيجة التوتر النفسي الذي يسيطر عليه .

هذا العدوان الذي يظهر في لعب الطفل كثيراً ما يكون دلالة على عدوان مكبوت موجه نحو أشخاص يحبهم ويخشاهم ، أو نتيجة حاجته الشديدة إلى العطف والحنان من والديه أو المحيطين به ، وهو بهذا اللعب العدواني قد يخدم رغبة لا شعورية في أن يوقع عليه الجزاء وبذلك يخفف من شعوره بالذنب الناشئ عن رغباته

العدوانية اللاشعورية ، ويؤكد لنفسه أن هذه العقوبة ليست بالشدة أو القسوة التي كان يتخيلها .

ولنذكر حالة طفل في السابعة من عمره ، مدمر عنيده يقضى وقته في غرفته يتلف أثاثها ويمزق ما فيها من مفروشات ، ويلطخ جدرانها بالألوان والطباشير . وأصبح يحطم حاجاته ويدمر لعبه وظهرت عليه علامات النكوص في سلوكه وبالمبحث عن تاريخ حياته وجد أن أمه ماتت وهو صغير وتزوج أبوه سيدة لم تكن منهم إلا بنفسها وكرهت ابن زوجها فكان لعبه هذا تعبيراً عن النزعات العدوانية التي سيطرت عليه نحو زوجة أبيه ولم يستطع أن يظهرها في شكلها المألوف^(١) .

٣ - اللعب النكوصي :

وهناك أيضاً ظاهرة اللعب النكوصي والنكوص ظاهرة نشاهدها في حالة الإصابة بالأمراض النفسية في مظاهر السلوك المختلفة، ولكنها قد تظهر في لعب الطفل، فنراه يرتد في لعبه إلى مرحلة سابقة من مراحل اللعب بالنسبة لسنه وهذا النوع من اللعب نشاهده في الأطفال الذين يجدون لذة ويبدون اهتماماً كبيراً في اللعب بالرمل والماء في حين نجد أن الأطفال السويين الذين في سنهم قد تجاوزوا هذه المرحلة بزمن طويل . وهذا النكوص لا يظهر في تفضيل الطفل لمواد معينة يلعب بها، ولكنه يظهر أيضاً في نوع اللعب الذي يفضله فهو قد يتخذ دور طفل أصغر منه وهو بهذا يكشف عن الصراع الذي يعانیه والذي كثيراً ما ينشأ عن حالات الغيرة من الإخوة الصغار . ومن أمثلة هذا النكوص في اللعب حالة^(٢) طفلة عمرها خمس سنوات ونصف أبعثت عن المدرسة بسبب ميولها التدميرية، والاعتداء على المدرسات، وهذه الطفلة بدأت لعبها في العيادة السيكولوجية بأن اتخذت دور المدرسة واعتبرت القائمة على علاجها طفلة صغيرة ، وكانت مستبدة تعامل المعالجة معاملة لا تسامح فيها ، وتمسك بمستويات عليا من السلوك . ولكنها سرعان ما تغير سلوكها فاتخذت دور طفلة أصغر سناً مما هي عليه وأصبحت تعتمد على المعالجة ، وأخذت في لعبها تنكص إلى

(١) في بعض الأحيان نجد أن النزعات العدوانية لا تظهر بصورتها التي ذكرناها في كلامنا عن اللعب العدوانى ، بل تظهر في صورة نكوص في أساليب السلوك فتظهر في صورة تبول أو قرض الأظافر أو نهته وتلعن .

(٢) وردت هذه الحالة في كتاب

مراحل الطفولة الأولى فكانت تنام على الأرض، وتزحف كما يفعل الطفل الصغير، وتعتمد في سيرها على مساعدة المدرسة وتستخدم الأدوات التي يستخدمها الأطفال الأصغر سناً. ولم يحدث كل هذا إلا عند ما ونقت الطفلة بالقائمة على علاجها وكان هذا النكوص في اللعب علامة على تقدمها نحو الشفاء، كما أنه كان دليلاً على أن السبب فيما أصاب الطفلة هو ما فرض عليها من مستويات عليا من السلوك في حين كانت الطفلة في مرحلة لا تمكنها من السلوك تبعاً لهذه المستويات. وكان الثمن الذي دفع نتيجة هذا التسرع هو المرض النفسى الذى أصابها.

٤ - اللعب الحصارى أو الإلزامى :

وهذه ظاهرة قد تبدو في لعب بعض الأطفال المنحرفين فترى بعض الأطفال يتعدون في ألعابهم عن كل ما يوسع ملاسهم، أو نجدهم يرتبون لعبهم في أشكال معينة، أو يرسمون بدقة وبالاستعانة بالمسطرة والفرجار والممحاة، أو يلعبون دون إحداث صوت على عكس ما يفعل الأطفال العاديين، وغالباً ما نجد أمثال هؤلاء محبوبين من ذويهم يصنّفونهم بحسن الخلق والسلوك. وأمثال هؤلاء نجدهم في العيادات السيكولوجية لا يقدمون في الغالب على اللعب إلا في كثير من التيب والحذر ويمارسون نوعاً واحداً من اللعب، ويكثر من تكرار ما يقومون به. ولكن المعالج يقرأ في هذا اللعب المعانى التي يحاول الطفل أن يسترها بأدبه الجمل وأسلوبه الرزين، ولكن سرعان ما يهجر الطفل هذا كله حين تصبح هذه الحيل الهروبية لا قيمة لها في حياته.

ونجد أمثلة كثيرة لهذا اللعب في الأطفال اللذين يتجنبون ألعاب الصغار وإن كانوا يشاقون إليها، وقد ذكر طفل في الخامسة من عمره أنه كان يحب اللعب بالدمى ولكن هذا لم يحدث إلا عند ما كان صغيراً^(١).

٥ - اللعب المشتت :

وأحياناً نجد أن لعب بعض الأطفال المنحرفين يتميز بالثشت. فالطفل لا يبدأ في لعبة من الألعاب إلا ليتركها إلى غيرها، ولا يمسك بشيء من اللعب إلا ليقتذف به بعيداً ويمسك بغيره وهكذا. فهو دائماً تحت تأثير أفكار جديدة ولكنه لا يستمر

في العمل على تنفيذها حتى النهاية . وهذا اللعب نشاهدته لدى الأطفال الذين في حالة قلق شديد أو الأطفال غير المستقرين عاطفياً وانفعالياً ، وغالباً ما نجد أن هذا النوع من اللعب يميز الأطفال المصابين بأمراض عقلية إذ نلاحظ على ألعابهم التفكك والبعد عن الحقيقة والرمزية الواضحة في التعبير عن نزعاتهم وخاصة الجنسية^(١)

الخلاصة

وأخيراً يمكننا أن نقول إن هناك فروقاً واضحة يدركها المختصون بين اللعب السوي واللعب المرضى ، وأن اللعب يكشف عن نفسية الطفل ويعبر عن نزعاته المكبوتة ، وخبراته المؤلمة والمنسية ، لذا أنه يكشف عن مصادر التوتر النفسي ، وعوامل القلق والخوف والأسباب النفسية لما يحدث من اضطرابات جسمية ، وهو في الوقت نفسه يكشف عن أنواع العلاقات القائمة بين الطفل وأفراد أسرته والمحيطين به .

عظة محمود هنا

المراجع

1. Bodman, Frank. Aggressive Play, in: Play and Mental Health (N.E.F. Monograph No. 3.)
2. Bristol, Hilda. Play and Mental Health, in: Play and Mental Health.
3. Britton, Clare. The Children who cannot Play, in: Play and Mental Health.
4. Fordham, Michael. The Life of Childhood. London, 1944.
5. Freud, Sigmund. Collected Papers. London, 1924-5.
6. Jackson, Lydia and Todd, Kathleen. Child Treatment and the Therapy of Play. London, 1946.
7. Klein, Melanie. The Psychoanalysis of Children. London, 1937.
8. Lewis, Nolan and Pacella, Bernard. Modern Trends in Child Psychiatry. New York, 1945.
9. Lowenfeld, Margaret. Play in Childhood. London, 1935.
10. Norman, E. The Play of a Psychotic Child. Brit. J. Med. Psychol. Vol. XXI., pp. 155-170.
11. Reaney, Jane. Place of Play in Education. London, 1927.
12. Richards, T.W. Modern Clinical Psychology. New York 1946.

(١) انظر الحالة التي عرضتها إليزابيث نورمان في مقالها عن لعب طفل مصاب بالجنون

Norman, E. The Play of a Psychotic Child, Brit. J. Med. Psychol. V. XXI., 155-170.